

فَكَانَهَا بَيْتٌ

الميت الحي^(١)

حدث بعض ساكني باريس عن نفسه قال

جئت هذه العاصمة العظيمة الغنية منذ خمس عشرة سنة وقد ارسلني اليها والدي لتلقي فن المحاماة فدهشت من البدائع والتحف التي رأيتها فيها وحررت في انواع الترف وضروب اللهو التي لا يخلو منها شارع كبير ولاصغير فصرفت اياماً في التجول في جميع أنحاء العاصمة لتعرف طرقها واختبار عوائد اهلها وطبائعهم قبل دخولي المدرسة حتى اذا ابتدأت في درس المهنة التي عزمت على اتخاذها لكسب رزقي عكفت على المطالعة والدرس واعتزلت جميع الملاهي ولم اكن اخرج للنزهة الا في الايام التي تقفل فيها المدرسة ابوابها . وكانت السنة الاولى صعبة جداً علي في دروسها الجديدة ولا سيما لما وجدت من ثقل القوانين المدرسية حتى اني فكرت مراراً في الرجوع عن عزمي والعودة الى والدي لولا ما كان يتخالج في صدري من حب التقدم والاستقلال في العمل وخصوصاً ان والدي لم يكن من ذوي الثروة وانه يوفّر من احتياجاته الخصوصية لينفق علي . وكان هذا الفكر الاخير ضربة قاضية على اهمالي وتكاسلي فانصبت بكليتي علي الكد والاجتهاد ومضت الستة اشهر الاولى فلم اضيع منها دقيقة واحدة وجاء موعده الامتحان لمتصف السنة فدفعتني الشوق للحصول على احسن شهادة ارضاء لوالدي فقضيت نحو اربعة ايام لم اخرج فيها من غرفتي قط وما اتيت علي آخرها في ليل اليوم الرابع جتي شعرت وانا مكب فوق كتي بدوار في رأسي وخفقان في قلبي فضاقت نفسي وكان العرق البارد يتحلب من وجهي فحشيت عاقبة ذلك وكان قد قارب الليل ان ينتصف فتركت الكتب والاوراق كما كانت واسرعت

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

من الغرفة فخرجت الى الشارع. وهب الهواء البارد فانعش صدري الملتهب وسررت به فشعرت بلذة فائقة وسرت كما تزودني قدهاي على غير هداية ولا انتباه فمررت بشوارع لم يحظر لي قط المسير فيها وابتعدت مسافة ليست بقليلة عن محل اقامتي وانا اظن انني لم ابتعد عنه سوى بضع خطوات . وكان هدوء الليل وسكون الحركة يجيان اليّ المشي فبقيت سائرًا الى ان قرع اذني صوت همسٍ كان يتخلله بعض كلماتٍ مقطعة بصوتٍ اجشٍ تدل على صيغة زجر وصوت بكاء يدل ان صاحبه لم يتجاوز سن الطفولية . فما كدت اسمع ذلك حتى شعرت ان رأسي قد فرغ من الافكار السابقة التي كانت تشغله ودبّ في جسدي نشاطٌ عظيم وقوة غريبة فأصغيت ليلي افهم شيئًا مما يدور في ذلك الزقاق المظلم . وكنت قد قرأت كثيرًا عن مكنونات باريس واعمالها الليلية وتأكدت ان وجودي وحدي بالفرب من اولئك الاشخاص مها كانوا لا يخلو من خطر ورأيت عند اول الزقاق الذي جاء منه الصوت شبه سرداب يُدخل منه الى بيتٍ حقير فانزويت الى جانبه وكدت امنع تنفسي لئلا يعوقني عن سماع ما يجري . وبعد ما تربصت قليلاً سمعت احد المتسترين بذلك الظلام يقول اظنني سمعت وقع اقدام من جهة الشارع الكبير . فقال الثاني لا تتخشَ بأساً يا هذا فان الذي يسوقه سوء بخته الى القდوم الينا في مثل هذا الوقت له في هذا الخنجر ما يضمن لنا منه كتمان السر الى الابد . فقال الثالث اجل ولكن الاحتراس اولى فاذهب يا فرنسوا وانظر هل في الشارع احد وعد الينا بالخبر اليقين . فانفرد عنهم الذي دعي بهذا الاسم وسار متجسسًا كما يسير الخيال في النوم فرّ بجاني وعجبت كيف لم تنبهه ضربات قلبي الى محل وجودي وما زال سائرًا حتى بلغ الشارع الكبير ثم عاد اليهم فطمأنهم ورجعوا الى حديثهم . فقال صاحب الصوت الاجش أليس في امكانكم تسكيت هذه الملعونة فاني لا اطيق سماع صوتها . وظهر لي ان احدهم سدّ فم الطفلة فلم اعد اسمع منها شيئًا . ثم عاد الزعيم الى كلامه فقال قد انتهينا من الاتفاق الاول وبقي عليّ ان اطلعكم على مشيئتي فان ثروة اسرتنا محصورة في شخص عمي وذلك بفضل الشريعة التي وضعها اكبر مجانين المملكة الذين

الضيآء

(٤١٣)

قضوا بأن الغني الشريف لا يورث من بنيه إلا أكبرهم ليحافظ على القيام باسم الأسرة ووجاهتها فكان ينتقل المال الكثير من عقب إلى عقب في أعضاء أسرتنا فينال حظه منه الابن الأكبر تاركاً أخوته في الحاجة الشديدة وبعض الأحيان في الفقر المدقع . وكان لجدي ولدان فقط وقد آلت إليه جميع أموال الأسرة وكنوزها فعمل بالشرعة المذكورة وأوصى بها لعمي الذي هو ابنة الأكبر تاركاً والذي لا يملك شروى تقير . وكان عمي يودّ من حين إلى آخر أن يساعدنا ببعض المال فلم اسمح لوالدي بقبوله لأنني أبيت أن يتصدق علينا من أموالنا

ففتف الجميع حسناً فعلت أيها الأمير . وعاد الأمير إلى تمة حديثه فقال . ولم يزل عمي يزداد غنى ولم نزل نحن في تأخر حتى توفي والدائي من شدة الحزن وتوالي الهموم وبقيت أنا لسوء الحظ ولكنني لا آسف الآن لبقائي حياً وقد أضآء أامي نوراً اظنه يهديني إلى ما يعوض عليّ الحياة المرة الماضية . فان امرأة عمي ولدت له ابنة منذ عامين وتوفيت على اثر ولادتها وبذل عمي جهده في الاعتناء بالطفلة فلم تمت وبقيت حية إلى الآن . ولعلمي ان الميراث لا يكون للاناث أملت أن يعود المال إليّ بعد وفاة عمي ولكنه مرض منذ بضعة اشهر المرض الذي توفي به وكأنه شعر بدنو اجله فكتب وصاته وسجلها في الحكومة وقد كتب فيها انه ان ماتت ابنته اكون انا الوارث والآبتمت هي الوارثة الوحيدة بشرط انها تتزوج رجلاً من مقامها ويتخذ هو اسم أسرتنا عوضاً عن ان تتخذ هي اسمه

فصاح واحد يا له من غاشم ذني أفضّل ان ترثه الغرباء ولا يرث ابناؤ أسرته حقهم الواضح . فقال الأمير وهذا ما اضطرني ان ادعوكم الآن فان ابنة عمي هذه الطفلة التي بين ايديكم كما ترونها متمتعة بكمال الصحة ولا يخاف عليها سوء فان هذا الجنس طويل العمر لا يقوى الموت عليه بسهولة ولم أر من العدل ان تصبح أموال أسرتنا المحفوظة لنا من القرون السالفة غنيمة باردة لغريب عنا يرضى بالتنازل عن اسمه والتكفي باسم أسرتنا فيكون قد غنم مالنا وشاطرنا شرف اسمنا . وبعد اعمال الفكرة رأيت ان اخفي هذه الطفلة قبل ادراكها الخير والشر وانقلها إلى حيث

(٥٢)

لا يعلم بها احدولا تصل اليها يد واذا ثبت امر فقدها طالبت بحقوقي وحصلت على ما حُرِّمه آباؤي من قبلي وما كدت أُحره انا بسبب التقاعد والاهمال . وقد ادرك خادمي الامين فرنسوا غايتي فذهب الليلة متستراً الى بيت عمي وانتشل الطفلة من سريرها بدون ان يشعر به احد وجاء بها الى هنا . فما رأيكم ايها الشجعان فاني قد اعتمدت عليكم واحببت ان استشيركم قبل الاقدام على هذا العمل فاذا رأيتموه موافقاً اتمته والاعدت عنه عن طيبة خاطر . ثم صمت الامير المتكلم

فارتفعت ضجة خفيفة تدل على الاستحسان العام ثم قال احدهم لا شك انك فعلت ما يجب فعله ايها الامير وانني بالنيابة عن رفاقي اوافق على تدبيرك واقول انه عين الحكمة والصواب . فقال آخر وهل يجوز يا مولاي ان طفلة صغيرة كهذه تقف في سبيل سعادتك . اسمح لي ان اطوق عنقها باصبعي هاتين دقيقة واحدة فقط فتصبح كأنها لم تكن ثم نلقيا في نهر السين وهو غير بعيد من هنا فتخفي اسماءك خبرها قبل بزوغ شمس الصباح

فقال الامير كلا يا صاح ان القتل حرام وانه لعار علينا ان نجتمع هنا خمسة اشخاص لقتل فتاة لم تتم سنتين من عمرها . فقال واحد منهم وكان لم يتكلم قبلاً . اتركوا لي تدبير الامر فعندي له الدواء الوحيد الذي لا ينفع سواه . فقال الامير وما هو . قال لي ابنة صغيرة غير شرعية حاولت ان اتخلص منها منذ ولادتها فنعتي امها وهي من عمر هذه الطفلة تقريباً وقد ماتت اليوم فيمكننا ان نأتي بجثتها حالاً ونلبسها ملابس هذه الطفلة ونعيدها الى سريرها فاذا اصبح الصباح وجدوها ميتة لا يداخلهم ريب في انها نفس ابنة عمك ويحتفلون بدفنها وتكون انت اول السائرين وراء نعشها فتعود من مدفن الاسرة تواءم لاسلام الامارة وما تطمح اليه نفسك

فارتفعت من الجميع اصوات الاعجاب والسرور وبعد مفاوضة جدية قصيرة أمر الرجل فذهب يسابق الرياح وما غاب كثيراً حتى عاد بالطفلة الميتة فأبدلوا ثيابها بثياب ابنة عم الامير وسلموها الى فرنسوا ليرجعها الى السرير الذي انتشل الطفلة

الضياء

(٤١٥)

الحية منه . فقال الامير وماذا فعل بهذه اذًا . فقال الرجل الذي ابدل ابنته بها
آخذها انا الى بيتي عوضاً عن تلك فلا يعلم بها احد ومتى عجزت عن الاعتناء بها أو
سئمت من معاشره الاطفال آخذها الى دير للراهبات أو الى محل آخر فلا تخف
عليها يا مولاي . فقهره الامير ضاحكاً مسروراً وقال اذًا قد انتهى اجتماعنا هذا على
افضل ما يرام فلينصرف كلُّ الى مكانه بسلام وفي نفس اليوم الذي يبلغكم فيه خبر
حصولي على ترکه عمي وامتلاكي زمام اعماله واملاكه واوراقه تعالوا جميعكم لمقابلتي
في مثل هذه الساعة في هذا المكان فقد نذرت على نفسي من الآن ان اهتم
خمسین الفاً من الفرنكات جزاء اخلاصكم لي ونصحكم في خدمة الحق : فصاحوا
جميعهم ليحي اميرنا الكريم وأتاك الله مبتغاك . ثم دار بينهم التوديع فذهب كلُّ
لشأنه وذهب فرنسوا بالجثة لارجاعها بدل الطفلة الحبة ومرَّ الرجل الحامل الطفلة
الاميرة بجاني وما بلغ طرف الشارع حتى وقع نور الصباح على وجهه فتبينته جيداً
وارسمت هيئته على مخيلتي فلانسى صورته ما حبيت

وعادت تلك القعة الى سكوتها العميق فلبثت هنيهةً ثم خرجت من مخبائي
وعدت من حيث اتيت فبلغت غرفتي ولم استطع رقاداً فأجيت بقية الليل مفكراً في
تلك الرواية متعجباً مما جرى واصابني من شدة التأثر حتى خفيفة لازمتني طول النهار
التالي . وفي المساء حدثتني نفسي ان اطالع اخبار العاصمة فابتعت جريدة واول ما وقع
نظري عليه علامة سوداء قرأت تحتها ما يأتي

توفيت في هذا الصباح الاميرة ارنستين لوفيل في السنة الثانية من عمرها وهي
ابنة الامير موريس لوفيل ووارثته الوحيدة وقد انتقل ارث هذه الاسرة برمته
بعد وفاتها الى ابن عمها الفتى جواني لوفيل

فشعرت بحزن عميق في نفسي على تلك الطفلة المسكينة البريئة المظلومة وارتعشت
اعضائي وسقطت الجريدة من يدي فلم اشأ ان ألقطها وكان ضميري يجاريني على
سكوتي عن هذه الحادثة وجعلت اناجي نفسي عما اذا كان العدل يعدني شريكاً
لاولئك السفلة . غير ان اقتراب موعد الامتحان انساني كل ذلك فعدت الى دروسي

وجزت الامتحان فبعثت بالشهادة التي نلتها الى والدي وكان سروري بنفسي وبالتنشط والفرح اللذين ابداهما لي والدي يقوي عزمي على متابعة اجتهادي فعدت الى ما كنت عليه قبل حصول هذه الوقائع وكان امرها كأنه لم يكن ومضت علي خمس سنوات اتممت فيها جميع الدروس المختصة بفن الحمامة ونلت الشهادة العليا وشهادة الامتياز في جميع فروع المدرسة . وعرض علي اساتذتي ان اعلم في نفس المدرسة ساعة من وقفي وشاروا علي ان اتعاطى هذا الفن في نفس باريس ففعلت كما اشاروا وكتب لي التوفيق فاشتهر اسمي وزاد دخلي اكثر مما كنت اظن فلم البت ان استحضرت والدي ووالدتي الى باريس فسكننا معي واقنا بفضلہ تعالى في اتم نعيم وارغد عيش . وكنت كثيراً ما التقى بالامير حواني لوفيل في مركبته الجميلة تجرها جياذ الخيل وهو يتنعم باللذات ويسرف في النفقات متبعاً التهلك والطيش فكنت اذا وقعت عيني عليه يرتد بصري عنه كأن مسلة اصابت حدقة عيني . وكان قد اقام على املاكه وكيلاً حكماً عرف كيف يدبر تلك الحوزة الواسعة فكانت الثروة تتضاعف بين يديه رغماً عن طيش الامير الفتى وشدة اسرافه ومضت بعد ذلك سنوات عديدة فتناسيت امر الامير والاميرة وسدل الدهر على تلك الحادثة ستار النسيان فلم نعد نخطر لي في بال الى هذه السنة منذ بضعة ايام فقط . وذلك انني كنت يوماً في مكنتي غارقاً بين اوراق الدعاوي العديدة التي في عهدي لاربابها واذا بخادم المحل قد دخل واخبرني ان رجلاً في الباب يروم مواجهتي للاستشارة في قضية عظيمة الاهمية فقلت له اني في شغل الآن فلا يمكنني مواجهة احد . واذا يباب الغرفة قد فتح وسمعت صوت متدلل يقول اتوسل اليك يا مولاي ان لا تبخل علي بمواجهتك فان قضيتي مهمة للغاية تتوقف عليها حياة بريء وقد جئتك واثقاً انه لا يوجد سواك لتخليصي من تهمة فظيعة ستودي بجيأتي ظلماً وعدواناً . فنظرت الى المتكلم وحالما وقع نظري عليه مرت سحابة كثيفة امام عيني واقشعت بغتة فنذكرت صورة الرجل وعرفته انه هو نفس الشخص الذي رأيت في تلك الليلة المشؤومة حاملاً الطفلة الاميرة لاختفائها وانفتح امامي سفر تذكاري

الماضي فدفعني الاستغراب الى مقابلة الرجل لعلني اقف على خبر تلك الفتاة السيئة الحظ . فتركت اوراقى جانباً ونسيت ما انا فيه من العمل وسمحت للرجل بالدخول فجلست واياهُ الى جانب الغرفة وامرت الخادم بالخروج . واستأنس الرجل فجعل يتلو عليّ حديثه بلهفة شديدة فقال . اني يا مولاي فتى فقدتُ والدي صغيراً وكنت اتردد الى حانةٍ اخدم فيها واحصل قوتي فلم ارَ ولم اعاشر الا جماعة من المقامر ين واللصوص الذين كانوا يترددن الى تلك الحانة وما شبيت حتى وجدت نفسي رفيقاً لهم في سطواتهم واعمالهم الليلية المنكرة واصبحت اداهم واكثرهم شروراً ولم ازل على هذه الحالة الى امدٍ غير بعيد . ويظهر ان الله شفق على حياتي فهداني يوماً وندمت على مسلكي السابق فتبت توبةً حقيقية واقلعت عن شروري السالفة واجتهدت ان اعوض في ما بقي من حياتي عما جنيتُه في ماضيٍّ واعلمت رفاقي انني انفصت عنهم وانهم لا يرجون مني مساعدة بعد . فاستشاطوا غيظاً واجتهدوا كثيراً في تحويلي عن عزمي فلم يفلحوا ولما رأوا اصراري خافوا ان ابوح للحكومة باسمائهم فصمموا على اهلاكي . وكان من امرهم انهم سلبوا رجلاً منذ يومين تم قتلوه واحضروا جثته فرموها امام باب منزلي ولما وجدت الجثة اتهمتُ بالجناية وما هي الا دسيسة كادها لي اولئك اللصوص ليحكم عليّ بالموت فيأمنوا جانبي . ولتقتي بمقدرتك العظيمة يا مولاي جئتك راجياً ان تأخذ بيدي وتقذني من هذه التهلكة واعلم ان لدي من المال شيئاً كثيراً فلا يذهب تعبك سدى

وكان الرجل يتكلم باضطراب شديد وهو يتلفت الى ناحية الباب كأنه يتوقع دخول الشرطة بغته لالتقاء القبض عليه . فلبست اليه وقت لا تخف يا هذا فانا عندك بمساعدتي ولكنني لا اقبل شيئاً من اموالك التي جمعتها كما اعترفت من السلب واللصوصية وانما اشترط عليك شيئاً واحداً وهو ان تعلمني بما جرى للاميرة ارنستين لوفيل التي ابدلتها بابنتك المائنة في تلك الليلة الدهماء . فارتعس الرجل كمن لدغته عقرب تم حنى رأسه على صدره وانحدرت دمعته من عينيه مسحها براحتيه وقال آه ما اشقاني فاني مع ندمي على شروري واجتهادي في التكفير عن الماضي لا ادري

كيف لم يخطر لي الافكار في تلك المسكينة وكيف لم اهتم باقفاها . فقلت له أسرع وأجني احية هي وهل هي في حالة مرضية . قال انها حية ترزق يا مولاي وفي امن من الجوع والحاجة واما آدابها وسيرتها فالذي يبلغني عنها انها لا عيب فيها . فقلت له اخبرني عما تعلمه من امرها وماذا فعلت بها . فقال اخذتها الى بيتي وكنت اعتني بها وجعلتها واسطة لاستدراار المال من الامير جواني لوفيل الى ان بلغت العاشرة من عمرها فاخذتها الى حوقة من ممثلي الروايات وبذلت جهدي لقبولها للتشخيص وما مضى عليها امد طويل حتى بان جمالها الساحر فتورد خذاها وبرز نهداها ومُشقت قامتها فطار صيتها في عالم التمثيل واكتسبت الجوقة شهرة واسعة بسببها وهي لا تعلم شيئاً من ماضي حياتها وأسرتها ثم ما لبثت ان اصبحت كبقية اللواتي يتعاطين هذه الحرفة مقصدًا للفتيان المسرفين تسامرهم وتسايرهم ويقدمون لها الجواهر والتفانس جرأً نظرة واحدة ترمقهم بها وهي ترضن بعفافها وثوب طهارتها ولا تزال كذلك الى الآن

فاستفهمت منه عن اشخاص الجوقة والمكان الذي يشخصون فيه ثم وعدته بالاهتمام بقضيته فذهب شاكرًا . اما انا فعدت الى عملي وما صدقت ان جاء المساء فقصدت الملعب الذي يجري فيه التشخيص وابتعت تذكرة فدخلت وكانت عيناى تنفرسان في المشخصين وانا ابحت لملي اهتدي الى تلك الفتاة ثم رأيت ليونار وهو الرجل الذي اعلمني عنها فاشرت اليه ان يقترب مني ففعل وسألته ان يدلني على ريسته ولما ارتفع الستار بانث وراءه صورة ملائكية ادهشني جمالها واوما الي ليونار انها هي الاميرة فزاد خفقان قلبي واذا ذلك ابتدأت في غناء بعض الادوار بصوت رخيم سحر جميع الحاضرين فصرنا كلنا كاشباح لاحراك بها

واشتغلت افكاري بامر الاميرة من ذلك اليوم فجعلت اتردد الى ذلك المحل واجتهدت في كشف ما يمكنني كشفه من احوالها فوجدتها كما ابغني ليونار آية في الفنج والدلال ولكنها باقية محافظة على ثوب عفافها فلم تدنسه شائبة . ورأيت شبان الفرنسيين يتخاصمون في سبيل رضاها ويتبارون في تقديم كنورهم لسيها ورأيت بينهم الامير جواني وهو بالضرورة لا يعرفها ولا تعرفه فكان يتفانى في التقرب اليها وانفاق المبالغ الطائلة

في تقديم الهدايا الثمينة اليها واستجلاب رضاها
اما انا فكان من همي ان اسعى في اعادة هذه المسكينة الى مقامها السامي وعزّي
اسرتها . وبعد ان اعددت ما يجب صنعه قصدت يوماً الملعب وانتظرت فيه الى
انتهاء التشخيص تم طلبت الدخول الى غرفة الاميرة وهي تعرف باسم لوسيل كما دعاها
مرييها فاذن لي ان ادخل بعد ان يخرج الزائر الموجود عندها حالاً . فانتظرت امام
باب غرفتها وانا متيقن ان زيارتي ستسبب لها اعظم السرور ومتفكر فيما عساها ان
تقوله بعد ان تسمع حديثي وتحقق مركزها . وبعد ما لبثت حيناً في الانتظار دفعني
الشوق ان اقترب من غرفتها فسمعتها تتكلم بصوت الآمر الغتاط وتقول انني ارفع
من ان اسمع مثل هذا الكلام فاخرج من غرفتي في الحال . ثم سمعت صوت رجل
يقول ان اخرج ما لم تجيئني الى طلبي وبذلك تصبحين اعظم اميرة في فرنسا . قالت
انني لا ابيع بكل فرنسا وما فيها ذرة واحدة من شرفي . قال اذا استدعيني الى استعمال
القوة لانني اخبرتك بما اجمعت عليه وتيقني انني لا اعود عن عزمي ما حيت .
ومرّ في تلك الدقيقة قيّم الملعب فاشرت اليه بالصمت وان يقترب معي لسماع ما
يجري داخل الغرفة ففعل . ثم سمعنا صوت الفتاة تقول ارفع يدك عني يا هذا والا
صحت باعلى صوتي مستغيثة . فقهقه ضاحكاً وقال تستغيثن بمن وهل تظنين ان احداً
هنا يقوى على معارضة اوامري فاعطيني جوابك النهائي عما عرضته عليك . قالت
الموت اهون من اجابة طلبك فاخرج عني ايها الخيث والا قتلت نفسي . قال انني
اكفيك هذا العناء لانني صممت على قتلك ان لم تدعني لي فان موتك خير
لدي من خسارتي اياك وقد احضرت هذا الخنجر معي لهذه الغاية . ثم تبع ذلك
صوت عراكٍ مستطيل وقبل ان اتمكن من مخاطبة القيم لفتح الباب والدخول لاقتاذ
الفتاة سمعناها تصيح قائلةً دونك ايها النذل . . . ودونك . . . ودونك . . .
فلم اتمالك نفسي بعد ذلك ان دفعت الباب برجلي فانكسر زلاجهُ وفتح فرأينا
امامنا الامير جواني لوفيل مطروحاً على الارض يتدفق الدم من ثلاثة جروح كبيرة
في صدره . والى ناحية اخرى الاميرة وقد سقطت مغمى عليها وقد انحل شعرها

الاسود وبان على عتقها علامات زرقاء حيث كان الامير قابضاً عليها . وكان الامير لم تزل فيه بقية من الحياة فلما وقع نظره عليّ قال بصوت ضعيف تقطعه حشرجة الموت قد رأيت يا هذا قاتلتي فخذ بتاري منها . فاقتربت منه وقلت بل هي قد اخذت بثارها من ابن عمها الخائن الذي عمل على اهلاكها للتمتع بثروتها . فحفظت عيناه وقال ماذا تقول افهي هذه . . . قلت نعم هي الاميرة ارنستين لوفيل وقد اوصلها الى هذه الحالة باعمالك السيئة . فحاول ان ينهض فلم يقدر فصرّ باسنانه وقال لعنك الله يا ليونار . لمن الله . . . ولم يستطع ان يتمّ كلاله فسقط الى جانب وفاضت روحه ولما افافت الاميرة اصابتها حى شديدة من جرّاء ما حصل لها ولما تعافت اخبرتها بحقيقة امرها ثم بذلت جهدي في المدافعة عنها ولم اتمتع براحة لجلسدي حتى برهنت للحكومة حقيقة الامر واستعنت بشهادات قيم الملعب وليونار وخادم الامير فبرأت الحكومة ساحة الاميرة واعادت اليها كرامتها وثروتها . وتوسطت لدى ارباب الامر والنهي في قضية ليونار فصفحت الحكومة عنه واقمت القبض على رفاقه فانالتهم ما يستحقونه وذهب هو الى قرية بعيدة عن باريس يصرف فيها باقى ايامه .

اما الاميرة ارنستين فكانت لا تجد سروراً ولا سلوة الا بصحبتى فكانت تستدعيني لتناول الطعام على مائدتها يومياً واعترفت لي اخيراً مجبها فتوسات اليها ان تقلع عن ذلك لانني لست من اصحاب الرتب وليست اسرتي من الاسر الغنية كما ذكرت اولاً وانني مع خمول اسم اسرتي لا أحب ان أتركه للتمتع باسم اسرتها . فقالت ولا أنا ممن يحافظون بعد الآن على اسم أسرة كان جواني الخائن أحد افرادها . ولم تفتأ ارنستين تلحّ عليّ ولها في صدري من الحب العظيم ما ساعدها على بلوغ اربها فغلبتني ولم تمض علينا ايام كثيرة حتى تزوجت بها وأصبحت كما هي الآن عضدي في العمل وسعادتي في الحياة وهي جالسة الآن بجانبى تساعد ذاكرتي على تدوين أهم ما جرى لنا في حياتنا

